

هل سينكر (سيناريو) عفرين في (شرقي) الغرات؟

15 نوفمبر 2018



بديهيات لا بد من ذكرها فهي أشبه بالنتائج

قبل الإجابة عن مثل هذا السؤال من المهم سرد بعض من البديهيات للتذكير والتعويل عليها عند الإجابة. كما حال تحضير الإجابة. الإجابات هي التي يجب أن يتم التحضير لها بخاصة في أوضاع تشبه أوضاعنا السورية والكردية بشكل مخصوص منها. أهم البديهيات: ليس في بال السلطة في دمشق حماية السيادة السورية، وما الحديث عنها بشكل مستمر سوى مجرد الحديث الذي يُصنّف إلى منطق التشديق التعليلي الذي يثير ويشير بأن سلطة دمشق فاقدة لإرادتها ولم يعد بمقدورها تهيئة الفرص أو استغلالها كما في الفرصة السانحة لها والطرف الوحيد المؤثر في تأسيس الحل متمثلاً بمجلس سورية الديمقراطية مظلة قوات سورية الديمقراطية قسد، وهذه هي البديهية الأولى وفي الوقت نفسه نتيجة لثماني سنوات من الأزمة السورية. تُعدّ اجتماعات الآستانا في أهم مهمة لها تصفية كاملة (للمعارضة) السورية، وتحديدها عن سورية، ليتم تجنيدها في تحقيق الأجندة الخاصة لكل ضامن من ضامنيها على حدا، كما في مثال التفاخر الشاذ وما يصدر عن المحسوبين على هذه المعارضة في حلال سلخ مناطق من سورية إلى تركيا: جرابلس وإعزاز والباب لا شيء في هذه المدن الثلاث دلالات بأنها مدن سورّيّة، وما إبقاء توقيت الساعة الزمنية لهذه المناطق المنسلخة -

وفق توقيت أنقرة- دليل إضافي على تنصيب أنقرة من (الكعكة) السورية أيضاً وفق الآستانا، ومن الطبيعي والمنطقي أن نرى بأنها باتت بالمرجوة لبعض من السياسات الإقليمية المدمرة إزاء سورية، كبديهية ثانية التي يضاف إليها ويرتبط بها بأن الآستانا توقفت بشكل كلي أو انتهت أو تم إنهاؤها ويبدو ذلك في نقطتين أساسيتين: فرملة جهود الضامنين في إدلب، وإنهاء سوتشي للجنة الدستورية. أمّا البديهية الثالثة فإنه لا مكان آمن في الشرق الأوسط، وحينما يتم الحديث عن المشهد الاستراتيجي الجديد فإنما يعني بأن العالم كله ينتقل من نظام وحيد القطبية إلى نظام متعدد الأقطاب، وهذا الانتقال، وكما جرت العادة، فإنه يكلف الشرق الأوسط كثيراً، مثلما الذي جرى في الشرق الأوسط قبل مئة عام على التمام والكمال في 11 نوفمبر تشرين الثاني 1918، أي حين إعلان انتهاء الحرب العالمية الأولى التي لم تهدأ رحاها في جانب الشرق الأوسط لحظة رغم مجيء وانقضاء الحرب العالمية الثانية وانتهاء القرن العشرين. أزمة تفضي إلى أزمة ومشكلة تجر إلى مشكلة. أما البديهية الرابعة فإنها تتمثل بمبدأ قميء تكرهه شعوب الشرق الأوسط في أن (الأنظمة في الشرق الأوسط لا يتم إسقاطها مهما بلغت مستوى الرفض الشعبي لها، أو حتى تغييرها وإنما يتم ترويضها خارجياً والاكتفاء بتغيير سلوكها) وفي تعدد الأمثلة التي تكاد تنطبق على عموم الشرق الأوسط تتحول هذه الأمثلة إلى شواهد لهذه البديهية.

ما الهدف من الهجوم التركي على كوياني وتل أبيض وعموم شمالي سورية، أو من التلويح المستمر بشن الهجوم على (شرقي الفرات) في هذا الوقت؟

وفي ذلك، أعتقد جازماً بأن أهداف أنقرة باتت أيضاً أو يمكن تصنيفها أيضاً ضمن خانة البديهية. على الرغم من أنه لهذا التهديد بعدان: داخلي تركي، فالنظام التركي لا يستطيع أن يتوقف في شد المشهد الداخلي التركي ووضع/ جزه أن يبقى دائماً على الحدود التركية مع دول الجوار. فيبحث جاهداً على تصدير أزماته الخائفة. السياسية والاقتصادية علاوة على الانقسام المجتمعي الشديد الذي تعاني منه تركيا. يخلط الأمر على المواطن في تركيا بأن رفع حالة الطوارئ لا تختلف عن عدم رفعها. وأنه ومنذ 19 تموز يوليو الماضي رفعت تركيا حالة الطوارئ السارية في البلاد منذ سنتين بعد مسرحية الانقلاب في منتصف حزيران يونيو 2016 وفرضت حالة الطوارئ بالأساس لمدة ثلاثة أشهر ثم تم تمديدتها سبع مرات. لا يستطيع الرئيس التركي/ سلطان تركيا العثماني بأن يصل إلى حالة يقف فيها وجه لوجه مع الشعوب في تركيا بأزماتها المستفحلة، يمكن أن يُشهد له بأنه مصدر بارع لأزمات الداخلية وفي نسج التحالفات وانفكاكها. أما البعد الخارجي للتهديد فإن لتركيا مقاصد -بديهيات- أيضاً يعلمها القاصي والداني بمفاد أن قصف إردوغان لكوياني -المدينة التي يتضامن معها العالم كل واحد نوفمبر- رسالة إلى العالم بمناحي أربعة: الإرهاب يجب ألا ينتهي وداعش يجب ألا تنتهي في سورية، سورية يجب أن تتأزم أكثر حتى تتفتت فتصبح عملية السليخ المطبقة بحق بعض المناطق السورية المحتلة من قبل تركيا واقع حال وتحصيل حاصل، عودة شيخ العثمانية وبقاء الشرق الأوسط متوتراً، أما المنحى الأساسي فهو بمثابة القاعدة التي يحرص إردوغان أن لا يكون لها استثناء (لا دور يُذكر للكرد في سورية، لا بل في الشرق الأوسط وفي العالم).

من هي الجهات الإقليمية والدولية التي تهمها هذا التهديد أو حتى تكرار سيناريو عفرين في (شرقي الفرات)؟

كانت أنقرة تتوسل وتشخذ ليتها أسبوعين لتطبيق (اتفاق) إدلب الموقع ما بين الرئيسين الروسي والتركي، ها هي تركيا تُمنح 55 أسبوعاً ليتها تقاسمها مع من يسمون جهة النصرة وجيش الإسلام التركستاني وحراس الدين، فيتم إعادة تسمينهم متوجهين بأمر إردوغان السلطان التركي الجديد إلى عفرين وكوياني وعموم شمال سورية، كما كان يفعل سلفه من آخر السلاطين مع الإنكشاريين وألوية الحميدية. فتقافة العثمانية لم تختف إنما في أشدها اليوم. أي أن روسيا منحت أنقرة العام الكامل لتجميد (الاتفاق) بغية تفرغ أنقرة لمهمة القتل والتدمير في (شرقي الفرات)، فموسكو كما حالها في السابق وفي اليوم أيضاً خاصة بعد أن ظهرت قائمة الدول المعفية من العقوبات الإيرانية وأن روسيا ليست بينها، فإن روسيا تجهد كي يتصادم حليفا الناتو: أميركا وتركيا على الضفة الشرقية من الفرات. وأعتقد بأنها مبالغة حينما يعتقد أحدهم بأن روسيا العدو الأول للكرد. بالأساس يعتبر مثل هذا الوصف أشبه بالنكتة السمجة بالنسبة لأغلب الطامحين في استعلاء قطب/ أقطاب نظام الهيمنة العالمية. لو كان عكس ذلك الصحيح فلماذا اكتفت -على سبيل المثال- روسيا القيصرية الأرثوذكسية قبل مئة عام بالنظر فقط لمقتلة وجينوسايد الأرمن الأرثوذكس على يد آخر السلاطين العثمانيين؟ أو لننظر إلى كيفية تحوّل قتل الاعلامي جمال خاشقجي إلى قضية. في الحقيقة لم يكن بالشخصية المهمة التي كان يجب أن يستدعي كل هذا الاهتمام. لا أود هنا -مطلقاً- أن أبدو كأني أعادي الموتى بقدر حرصي أن أنتمي إلى مجموعة المنصفين للأحياء، وأن قضية المرحوم خاشقجي صاحب المواقف العدائية للقضية الكردية وتجربة الإدارة الذاتية بسبب وقوفه بالأساس إلى جانب أنقرة ليس فقط بالصد من الكورد وإنما بالصد حتى من الرياض في عملية الإصلاح التي تقدم عليها. وأن أنقرة أكثر من استثمرت في مقتل الخاشقجي مقابل رأس ولي العهد/ إزاحته، ومقابل أن تكون فقط (سيدة) العالم الإسلامي السني. علاوة على

خلخلة حلف المجموعة المصغرة السبع التي استبعدت منها تركيا. بالأساس لا تصلح أن تكون تركيا في هذه المجموعة. فهذه المجموعة مثل العديد من الدول في حلف مع قوات سورية الديمقراطية ضد الإرهاب.

إضافة إلى ذلك فإن صحوة داعش في جيبه الأخير من ريف دير الزور الشرقي وتزويده بالعدد والعتاد إن من توقعهم الطارئ في ريف شمال شرق السويداء أو من موقعهم في بادية الشام، فيعني بأن روسيا والسلطة في دمشق وبشكل كبير أنقرة تود تصفية قوات سورية الديمقراطية ومظلتها السياسية مسد وفرط تحالفها مع التحالف الدولي بقيادة أميركا ضد الإرهاب، فإنهاء للمعارضة الوطنية الديمقراطية العلمانية التي تمثلها مجلس سورية الديمقراطية ومن تشبههم ومن تشبهها من قوى وأحزاب وشخصيات خارج إطار المجلس مسد. لا صدفة في التاريخ كي تحدث الصدفة في أزمت الشرق الأوسط وبشكل خاص في الأزمة السورية، فلا صدفة ما بين توقيت تصعيد العدائية التركية مؤخراً على شمال سورية وروح آفا و(صحوة) داعش. من المؤكد للموتى أيضاً صحوة، وداعش بحكم الميث دون أدنى شك. بالرغم من عرقلة أنقرة المستمرة كي تبقى داعش والنصرة وحراس الدين وغيرهم. فأنقرة تشق مخططها بعضا الإرهاب والتنظيمات الإرهابية. هذه هي أنقرة اليوم لتعطي صورة واضحة عن العثمانية فيما سبق.

لأنقرة بحد ذاتها استفادة قصوى من هذا التصعيد. بهدف إدارة أزماتها الخارجية أيضاً كما في إدارة خيبتها الكبيرة وفشلها في احتلال منبج. وما تصريح الرئيس التركي بأنه يترك منبج ليتوجه مباشرة إلى (شرقي الفرات) سوى محاولة تغطية فشله والقفز في الهواء مرة أخرى. فالحال في منبج يبقى كما يجب أن يكون ومن المفترض أن يكون كما حالها الحالي وأن تدار وفق نموذج إدارة مدنية ديمقراطية من مكونات منبج بعربهم وكردهم ومن المكونات الأخرى. كما حالها في نموذج الإدارة الذاتية لشمال وشرق سورية. كما أن أنقرة تود إيصال رسالة أخرى إلى السوريين والكرد في سورية وإلى الإقليم والعالم بأن عفرين باتت في كنف أنقرة. وهذا بطبيعة الحال لن يحدث والمقاومون في عفرين من مرحلة المقاومة الثانية.

والآن: هل سيتكرر (سيناريو) عفرين في (شرقي) الفرات؟

توجد إجابة أهم من جواب هذا السؤال المهم جداً، في الحقيقة ليس بالجواب إنما بالقناعة والمبدأ. المقاومة هي الأساس، وحينما يقاوم شخص أو مجموعة أو أحزاب وقوى ديمقراطية كما في مثال مشروع الإدارة الذاتية الديمقراطية كحل أخير للأزمة السورية، فإن النتيجة -أيّاً تكن- تبدو تحصيل حاصل. النصر والخسارة والهدنة كنتائج للحرب لا ترتقي أمام نتيجة المقاومة، وإلا فلنتخل عن إنسانيتنا وعن مشروعنا الديمقراطي في قيم إخوة الشعوب والعيش المشترك وعن كديتنا وعن قضيتنا الكردية لأننا لا نملك سلاح الطيران وأن المعركة ليست بالمتكافئة لا بالعدد ولا بالعتاد أمام احتمال شن أنقرة عدواناً جديداً على روح آفا وشمال وشرق سورية. سلاح المقاومة لا يغدو متوفراً حتى عند أعتى الجيوش في العالم. ففي أية وظيفة من أي مطرح يكون على هذه البسيطة حتى تحقق أهدافها ويكتب لها الدوام لا بد من تحقيق مبدئي الواجب الأخلاقي والواجب الشرطي. والذي يقاوم ولديه قضية في قضيتين في الوقت نفسه (القضية الديمقراطية في حل القضية الكردية) ليس سوى بالمقاوم الذي ينتصر. قوات سورية الديمقراطية قوة منظمة محررة تقاوم انطلاقاً من مشروع العيش المشترك بعكس أجندة العثمانية أو المتحالفين معها بكل ما يمتلكون من قوة دفع أنقرة إلى الهاوية. إذا ما استمرت أنقرة هكذا فإنها تمشي بقفزات نحو الهاوية.

وإذا ما كان خيارنا منذ بداية الأزمة السورية متمملاً بشكل أوضح بأنه عبر المقاومة والدبلوماسية يتم خلق الأجواء المستقرة وحل الأزمات المفروضة علينا ككورد وكسوريين في الوقت نفسه، فإن سيناريو عفرين لن يتكرر لا بل إن تحرير عفرين باتت بالقربية أكثر. كما في تحرير عموم المناطق التي تم احتلالها من قبل أنقرة. وهذا هو عنصر الذات في حلته الإيجابية التي حوّلت الكرد في سورية وعموم المكونات التي أسست الإدارة الذاتية إلى رمز عالمي ضد الإرهاب وإلى لاعب لا يستهان به في الساحة السورية ومن دونه لن يكون الحل فهو بالأساس جزء مهم من الحل السوري، وما عملية استبعاده من اجتماعات جنيف وغيرها السورية سوى تعميق الأزمة السورية والوصول إلى الحال الموصول بها سورية. أما الظروف الموضوعية والتبدلات التي تتحصل من إعادة تأسيس موازين القوى إضافة إلى الوجودات المفروضة على جميع السوريين إن من خلال الوجود الأميركي أو الروسي - لا أقصد الاحتلال التركي- فإنها ليست لصالح من يرغب أن يتم تكرار (سيناريو) عفرين على (شرقي الفرات). وبمزيد من الحيادية، قلنا ذلك سابقاً، بأن وجود أميركا في سورية مرتبط بالأساس باستراتيجية واشنطن في مرحلة الرئيس الأميركي الحالي ترامب التي تنحى نحو المزيد من الانخراط في الشرق الأوسط وهي في ذلك مرتبطة بالوجود الروسي في سورية. ليس الكورد من يحددون استراتيجية واشنطن وليست السلطة في سورية تحدد استراتيجية موسكو. فإن هذه الوجودات المفروضة ليس من صالحها أن تمنح دولة مارقة تتداعى مثل تركيا لتمنح فرصة استمرار بقوة.

الأهم من كل ذلك فإن احتمال تكرار (سيناريو) عفرين في (شريقي) الفرات تبدو أشبه بالمستحيلة لأن مشروع يطل رأسه لأول مرة في الشرق الأوسط يستمد من نظرية الأمة الديمقراطية، هذه النظرية لا بل إن هذه الفلسفة تبدو اليوم طوق النجاة لشعوب الشرق الأوسط ولسورية مثالها بأن تتعايش جميع هذه الثقافات وفق خصوصياتها جنباً إلى جنب وليس في خصومة وعداوة وجه لوجه وبحرب مستمرة تستمر لا تنقطع طالما سادنا نظريات الغير وفلسفات الغير وحلول الغير... بالأخص غير أبناء الشرق الأوسط. كسوريين غير بنات وأبناء سورية.

نقلا عن "المركز الديمقراطي العربي"